المحاضرة الرابعة: يورغين هابرماس ومساهماته الفكرية

حياته: ولد الفيلسوف يورغين هابرماس في مدينة دوسلدروف عام 1929، ونشأ في أسرة بروستانتينية متوسطة الحال، نال شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامغة بون الألمانية سنة 1954 بأطروحته "المطلق والتاريخ" حول التناقض في فكر شلينغ.

في 1956 درس الفلسفة وعلم الاجتماع على يد المنظرين النقديين مثل ماكس هوركهايمر وتيودور أدرنو في معهد البحث الاجتماعي في 1961 أصبح أستاذا في جامعة بورج، في 1964 عاد الى مدرسة فرانكفورت كأستاذ في مجال الفلسفة وعلم الاجتماع .

ورث هابرماس عن مدرسة فرانكفورت النقدية تقاليدها في نقد الحداثة التي كشفت عن الجوانب المدمرة للعقلانية وآليات السيطرة والضبط التي قدمتها المعرفة التقنية للسلطة، إلا أن هابرماس نحا منحى مختلفا عن أسلافه في مدرسة فرانكفورت، بما في ذلك أستاذه أدورنو نفسه، حيث لم يقف عند آفات العقلانية الأداتية، كما فعلت مدرسة فرانكفورت، بل تجاوزها ليؤسس لعقلانية تواصلية تستند على مبادئ قيمية وأخلاقية تتلافى علات العقلانية الأداتية.

في عام 1971، تسلم هابرماس منصب مدير مركز ماكس بلانك وعمل فيه حتى عام 1983، بعد ذلك عاد إلى عمله في فرانكفورت مديرا لمعهد البحث الاجتماعي واستمر فيه حتى تقديمه استقالته عام 1993، متفرغا بعدها للكتابة والنشر على نطاق واسع، ومن أبرز مؤلفاته "الوعي الأخلاقي والفعل التواصلي" (1983) و"العقلانية والدين" (1998) و"جدل العلمانية" (2007).[10]

في مسيرته الفكرية، نال هابرماس العديد من الجوائز التقديرية لمساهماته الفكرية، منها "جائزة أمير إسبانيا للعلوم الاجتماعية"، و"جائزة ثيودر أدورنو" في عام 1980، و"جائزة السلام "

من جمعية الناشرين الألمان، إلا أن أهم الجوائز هي جائزة جون دبليو كلوج في واشنطن التي نالها في عام 2015، وتُعد هذه الجائزة أرفع تكريم يناله فيلسوف على أعماله مدى حياته.

من أهم مؤلفاته: المعرفة والمصلحة، جدل العلمانية، الحقيقة والتبرير، الخطاب الفلسفي للحداثة.

الحداثة عند هابرماس: تعتبر الحداثة ظاهرة حضارية متعددة الأشكال وسياقا فكريا متعدد المعاني، فهي تتخذ من القديم نقيضا لها وظهرت لفظة "حديث" في القرن الرابع عشر للاعتراض على ماهو قديم والذي كان يميز العصور اليونانية والرومانية وبرزت من خلال أعمال جيرارد نيرفال وشارل بودلير.

ومسألة الحداثة من الاشكالات الأساسية التي عالجها هابرماس وكانت له نظرة مغايرة لها ومن ملامح الحداثة:

- ✓ ظهور الفكر الفسفي العقلي والتجريبي والمادي والنقدي من خلال نصوص ديكارت ولوك وكانط.
- ✓ تأسيس الفيزياء على يد نيوتن.
- ✓ بروز النزعة الرومانية في الأدب والفن.

ويعرف هابرماس الحداثة فيقول: إن الحداثة هي الوعي بالمرحلة التاريخية التي تقيم علاقة مع الماضي من أجل أن تفهم ذاتها باعتبارها نوعا من الانتقال أو العبور من الماضي الى الحاضر.

ويقف هابرماس موقفا وسطا من الحداثة، فهو لا يؤيدها بشكل مطلق كما لا يعلن رفضه التام للمشروع الا في مستوياته الانحرافية اللاعقلانية والمتنكرة للعقل بسبب الانحراف الذي أصاب مشروع الحداثة، فهو يؤكد على أهمية الحداثة ويعتبره مشروعا ناقصا، فهو يؤكد على أهمية الحداثة كمشروع انساني متعدد الأبعاد.

الفعل التواصلي عند هابرماس:

يحدد هابرماس الأفعال التواصلية على النحو الآتي: "هي تلك الأفعال التي تكون فيها مستويات الفعل بالنسبة للفاعلين المنتمين الى العملية التواصلية غير مرتبطة بحاجيات السياسة بل مرتبطة بأفعال التفاهم"، ولا تفاهم بدون لغة، ولتعزيز تصوره للفعل التواصلي من أجل فهم أفضل للعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع ذهب الى أن الفعل التواصلي يتميز عن غيره من الأفعال الأخرى بأنه لا يسعى للبحث عن الوسائل التي تمكنه من التأثير في الغير، بل يبحث عن كيفية التواصل الى تفاهم معه وتوافق متبادل دونما إكراه أو قسر، وإذا كان التفاهم الغاية القصوى للفعل التواصلي فإنه لا يمكن تصوره بين الأطراف المتجاورة إلا بشروط من أهمها عدم تأثير طرف على آخر لأن ذلك يؤدي حتما الى فشل التواصل.

الفضاء العام في فكر هابرماس:

الفضاء العام عند هابرماس هو الفضاء المشترك للافراد الذي يؤطر الممارسة السياسية لتوجيه الرأي العام بالفعل التواصلي، كما يدخل في مضمون الفضاء العام قضايا ومعايير كالعدالة والشرعية والقانون.

ويعتبر هابرماس كانط هو المؤسس الفعلي للفضاء العام فيؤكد هابرماس على أن العمومية الكانطية استوجبت الانتقال من الفردية الى الكونية على مستوى الأخلاق والسياسة، حيث هدفت العمومية الى الوصول الى مجتمع مدني يقيم الحق على نحو شامل بمعيار العقل العملي لتأسيس عمومية تنويرية غير أن هابرماس وجد هذه العمومية غير كافية وحدها فهي بحاجة للعقلية التواصلية الحوارية بين الذوات.

ويمثل الفضاء العمومي في نظر هابرماس حلبة للنقاش العام الذي تدور فيه السجالات وتتشكل فيه الآراء والمواقف حول القضايا التي تجسد اهتمامات الناس، فهو يقوم بالدرجة

الأولى بمهمة المراقبة، كما يمكن أن يمنع بواسطة النقد العمومي امكانية القيام بمشاريع غير متلائمة مع توجهاته واحتياجاته.

إعداد الدكتورة رقاد حنان